الفصل الثاني

الجانب النقلي في تفسيره

أولا: التراث النقلي في تفسيره:

كانت عناية الحوفي بالتفسير اللغوي مقصوداً بها الكشف عن المعنى، لأن من أدعى فهم أسرار القرآن و لم يحكم التفسير الظاهر، فهو كمن أدعى البلوغ إلى صدر البيت قبل تجاوز الباب، فظاهر التفسير يجري مجرى تعلم اللغة التي لابد منها للفهم، لأن القرآن نزل بلغة العرب، فما كان الرجوع فيه إلى لغتهم ، فلابد من معرفتها أو معرفة أكثرها[1].

و الحوفي إلى جانب كشفه عن الجانب اللغوي لم يغفل الجانب النقلي، فلقد جمع بين المعقول و المنقول و دمج بينهما و بيَّن جوانب التفسير الأخرى ليكشف المعنى في صورة متكاملة و هو في عنايته بالجانب النقلي متنبه بأنه يقوم على دعائم ثلاث :

١. تفسير القرآن بالقرآن.
٢. تفسير القرآن بالسنة .
٣. الأخذ بمطلق اللغة .

و في هذا يقول ابن تيمية: فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب إن أصح الطرق في ذلك :

١. أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في موضع قد بسط في موضع آخر.
٢. و أن يفسر القرآن بالسنة فإنها شارحة للقرآن و موضحة له.

---

١ - الزركشي: البرهان ١٥٥/٢ .

و المعنيُّ بالسنة: ما أثر عن الرسول صلى الله عليه و سلم و صحابته و التابعين – فنراه يعتمد على صدور المفسرين من الصحابة: علي ثم ابن عباس و ابن مسعود وعبد الله بن عمر، و على المبرزين من التابعين: الضحاك بن مزاحم، وسعيد بن جبير، مجاهد و قتادة، و أبي العالية الرياحي، و الحسن البصري، و محمد بن كعب القرظي، و الربيع بن أنس، و مقاتل بن سليمان، و أبي بكر الأصم بن كيسان ، وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي و عكرمة مولى ابن عباس، و عطاء بن رباح و عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ومن الأئمة سفيان بن عيينة و محمد بن جرير الطبري، وعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي وأبي جعفر النحاس(١) و أبي بكر و الإدفوي و غيرهم.

٣. الأخذ بمطلق اللغة(٢):

و الحوفي في كل هذا متنبه لما أجمع عليه العلماء من أن أقسام التفسير أربعة (٣) قسم تعرفه العرب في كلامها: و هو الذي يرجع إلى لسانهم و ذلك شأن اللغة و الإعراب فأما اللغة فعلى المفسر معرفة معانيها و مسميات أسمائها، وأما الإعراب فما كان اختلافه محيلاً للمعنى وجب على المفسر و القارئ معرفته، وما كان من التفسير راجعا إلى هذا القسم فسبيل المفسر التوقف فيه على ما ورد في لسان العرب و ليس لغير العالم بحقائق اللغة و مفهوماتها تفسير شيء من كتاب الله.

و أما ما لا يعذر أحد بجهالته : و هو ما يتبادر بالإفهام إلى معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام و دلائل التوحيد و كل لفظ أفاد معنى واحداً جلياً لا سواه يعلم أنه راد الله تعالى.

---

١ - الزركشي: نفسه ١٥٨/٢ .
٢ - الزركشي: البرهان ١٦٠/٢ .
٣ - الزركشي: البرهان ١٦٤/٢ .

و أما ما يرجع إلى اجتهاد العلماء: فهو الذي يغلب عليه إطلاق التأويل و هو صرف اللفظ إلى ما يؤول إليه، فالمفسر ناقل، و المؤول مستنبط، و أن كل لفظ احتمل معنيين فصاعداً هو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه .

و أما ما لا يعلمه إلا الله تعالى: فهذا ما يجري مجرى الغيوب، نحو الآي المتضمنة قيام الساعة و نزول الغيث و ما في الأرحام و كل ما استأثر الله بعلمه.

من هذا المنطلق جاءت عناية الحوفي بالجانب النقلي، و أول هذه العناية التي استخلصناها من تفسيره:

١. تفسير القرآن بالقرآن :

أجمع العلماء على أن أحسن طريق للتفسير أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فقد فُصِّل في مكان آخر و ما أُختُصِر في مكان فأنه قد بُسِطَ في آخر(١).

ففي قوله تعال ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ (٢)، يقول: مالك يوم الدين الحكم يدل عليه ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴾ (٣).

و أحسن هذا لتفرد القديم ذلك اليوم بالحكم (٤).نراه في موضع آخر يقول: أصل اليوم الوقت، فإذا قيل يوم مطلق فهو يقع لليل و النهار وليس في دليل على أحد الوقتين هو مذهب شيخنا أبي بكر يحتج بقول الله عز وجل ﴿ ....جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ...ۙ ﴾ (٥)

١ - الزركشي: نفسه ١٧٥/٢.
٢ - سورة الفاتحة آية ٤ .
٣ - سورة الانفطار آية ١٩ .
٤ - الحوفي: البرهان ١٢/١.
٥ - سورة النحل آية ٨٠.

وكذلك﴿ ....وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ....﴾ (١) وقوله ﴿....لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً....﴾ (٢) وقوله﴿ ....فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ.... ﴾ (٣).

فالحوفي باستناده على مذهب شيخه قد بيَّن المقصود باليوم من خلال ما فصل في آيات قرآنية فدَّل ذلك على أن المقصود باليوم الوقت سواء كان في ذلك الوقت ليلا أو نهارا، كما نراه في موضع آخر يستدل بآيات القرآن ليوضح المعنى، ففي قوله تعالى ﴿....غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ.... ﴾ (٤)، يقول: فإن قيل فما الوجه في الوصف بأنهم غير المغضوب عليهم و لا الضالين و إلا أخبرني بأحد الوصفين ؟ الجواب : لرفع اللبس و ذلك انه لما كان المغضوب عليهم يصلح للكافرين و لمن ركب كبيرة كما قال ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ.... ﴾ (٥)، و الضالون يصلح أن يكون لمن ضل عن الإسلام فلما كان في كل وصف منهما معنى ليس في الآخر لم يجز أحدهما عن الآخر و لم يقم مقامه فيجمع الأمر أن لهذا، و قيل أن المعنى لجميع الوصفين لأن في كل واحد منهما فائدة ليس في الآخر و إن كانا لموصوف واحد كما نَصِفُ لله عز و جل بأنه قادر و بأنه عالم و بأنه سميع فيجمع هذه الأوصاف لما فيها من فائدة و إن كان الموصوف بها واحد، و قيل ذلك على مذهب من قال المغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى، فقد صار المعنيين و قد تقدم ذكر الغضب على الضلال و إنما سبيل الغضب أن يكون بعد الضلال فهذا على ظاهر القول من التفسير أن المراد به اليهود و النصارى فقدم اليهود لأنهم أولى بالذم الشديد و عداوتهم للإسلام و الغلو في الكفر كما قال

١ - سورة الأنفال آية ١٦.
٢ - سورة البقرة آية ٨٠.
٣ - سورة فصلت آية ١٦.
٤ - سورة الفاتحة آية ٧ .
٥ - سورة النساء آية ٩٣ .

﴿ ...أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا.... ﴾[1] وهو عن طريق آيات النص القرآني و استدل على المعنى المراد و في قوله تعالى ﴿ ....إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ... ﴾[2] يقول قال قتادة و ابن العالية و ابن زيد هي الصافية الصفرة و قال أبو عبيدة صفراء سوداء كما قال تعالى:" جمالات صفر"[3] إنما قيل جمالات صفر بمعنى سود لأن سوادها تعلوه صفرة[4].

و الحوفي يربط بين آيات القرآن و بين المأثور، ففي قوله تعالى﴿ ....وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ.... ﴾[5]، يقول: و قوله و أيدناه بروح القدس أي قربناه و أعناه و اختلف في قوله بروح القدس قال بعضهم هو جبريل عليه السلام و رُوِيَ أن نفراً من اليهود سألوا النبي صلي الله عليه وسلم عن الروح فسألهم بالله هل يعلمون انه جبريل الذي يأتيني قالوا نعم، قال قتادة و السدي و الضحاك و الربيع هو الاسم الذي كان عيسى عليه السلام يحيي به الموتى و قال عبد الرحمن بن زيد أيد الله عيسى بالإنجيل روحاً كما جعل القرآن روح الله قال عز وجل ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا.... ﴾[6].

ثم نرى الحوفي يعقب على ذلك بقوله: و الأظهر في معنى الآية أن روح القدس جبريل عليه السلام لقوله﴿ .... إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ....﴾[7]، يقول لو

١ - سورة المائدة آية ٨٢ .
٢ - سورة البقرة آية ٦٩ .
٣ - صحت الآية " كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ" سورة المرسلات آية ٣٢.
٤ - الحوفي: البرهان ٣٤/٢.
٥ - سورة البقرة آية ٨٧ .
٦ - سورة الشورى آية ٥٢ .
٧ - سورة المائدة آية ١١٠ .

كان الإنجيل لما كرر لفظه[1]، الحوفي بهذا يعرض أقوال الأئمة ثم يرجع أحد الأقوال مؤيدا ذلك بما جاء في النص القرآني.

و في قوله تعالى﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ....﴾ (سورة البقرة: من الآية ٩٢)

يقول: و المعنى و الله أعلم لقد جاءكم يا معشر يهود بني إسرائيل موسى بالآيات البينات الواضحات والآيات تسع كما قال عزوجل ﴿ .... تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ..﴾ [2] و هي: العصا التي تحولت ثعبانا و اليد التي أخرجها بيضاء للناظرين، و فلق البحر و تصيير يبسا، الجراد و القمل، الضفادع و الدم و رفع الطور وإحياء الميت، و إحياء الميت ببعض البقرة فهذه الآيات لا يجوز لبشر أن يأتي بها إلا بتسخير الله عزوجل له[3].

و في قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [4]، يقول: و قوله و اختلاف الليل و النهار أي و تعاقب الليل و النهار عليكم يا أيها الناس و الاختلاف الافتعال من خلوف كل واحد منهما للآخر كما قال عزوجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [5].

أي كل واحد منهما يخلف مكان صاحبه إذا ذهب الليل جاء النهار و إذا ذهب النهار جاء الليل خلافة و منه قول زهير:

---

١ - الحوفي: البرهان ٧٤/٢.
٢ - سورة الإسراء آية ١٠١ .
٣ - الحوفي: البرهان ٨٣/٢.
٤ - سورة البقرة آية ١٦٤.
٥ - سورة الفرقان آية ٦٢.

بهاءُ العينِ والأرام يعيش خلفه ★★★★ و أطلاؤها ينهضن من كل مجثم

وقوله: والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، الفلك : السفن واحدة وجمعه بلفظ واحد ويذكر ويؤنث كما قال﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾(١)، وقال : في الفلك التي تجري، وقال تجري وهي مجراة لأنها إذا أجريت فقد جرت، وما ينفع على التقدير بمعنى الذي وما ينفع بمعنى النفع وقوله : ﴿ .... وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ....﴾ (٢) بمعنى فرق من قولهم بث الأمير عساكره، وقيل معناه بسط من قوله عز وجل ﴿ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾(٣)، أي مبسوطة ، قال ذو الرمة

فؤداك مبثوث عليهِ شجونُه ★★★★ وعيناك يعصي عَاذِليكَ إنهمالُها

والبث إظهار الوجد والهم ونشرهما كما قال﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ....﴾ (٤)، فهو في هذا الجانب يربط بين المفهوم اللغوي حيث يفسر الكلمة المفردة وبين الآيات القرآنية الموضحة لهذا المعنى.

وما جاء من تفسير القرآن بالقرآن في تفسير الحوفي كثير فالحوفي لم يترك موضعا في آية من آيات القرآن جاءت مجملة لها تفصيل أو بيان في أية أخرى إلا ذكرها واستشهد بها. وهذا الاتجاه في التفسير يتفق مع ما استقر عليه العلماء بعد ذلك يقول الإمام الزركشي: **ينقسم القرآن العظيم إلى:**

١. ما هو بين بنفسه بلفظ ما يحتاج إلى بيان منه ولا من غيره، وهو كثير.

٢. وإلى ما ليس ببين بنفسه فيحتاج إلى بيان.

---

١ - سورة يس آية ٤١.
٢ - سورة البقرة آية ١٦٤.
٣ - سورة الغاشية آية ١٦.
٤ - سورة يوسف آية ٨٦.

و بيانه إما فيه في آية أخرى أو في السنة، لأنها موضوعه للبيان، قال تعالى (... لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ...)(١) و قد يكون بيانه واضحا وهو أقسام:

أحدهما: أن يكون عَقِبِه كقوله تعالى﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾(٢)، قال محمد بن كعب القرظي: تفسيره﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾(٣).

الثاني: أن يكون بيانه منفصلا عنه في السورة معه أو في غيره، كقوله تعالى:

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ (سورة الفاتحة: من الآية ٤) و بيانه في سورة الانفطار بقوله:

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩ ﴾(٤).

و بما بيَّنه الزركشي كانت عناية الحوفي بتفسير القرآن بالقرآن.

٢- أن يفسر القرآن بالسنة :

و لقد أجمع العلماء أيضا على أن من أحسن طرق التفسير أن يفسر القرآن بالسُّنَّة فإن لم تجد تفسير القرآن بالقرآن فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن و موضحه له قال تعالى﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(٥).

و لهذا قال صلي الله عليه وسلم ألا إني أوتيت القرآن و مثله معه يعني السنة فإن لم يوجد في السنة يرجع إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن و لما أعطاهم الله من الفهم العجيب(٦).

---

١ - سورة النحل آية ٤٤.
٢ - سورة الإخلاص آية ٢.
٣ - سورة الإخلاص آية ٣، ٤.
٤ - سورة الانفطار آية ١٧- ١٩.
٥ - سورة النحل آية ٦٤.
٦ - الزركشي: البرهان ١٧٦/٢.

والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه فإن لم تجده فمن السنة كما قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمن فبما تحكم؟ قال بكتاب الله، قال فإن لم تجد قال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله(١).

من هذا المنطلق كانت عناية الحوفي بتفسير القرآن بالسنة فنراه يبيِّن فهمه للآية أو للكلمة موضحا ذلك بما جاء بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بأقوال الصحابة والتابعين و أئمة المسلمين.

و مثال ما بيَّنه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى:

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾(سورة الفاتحة : من الآية ٤)

يأتي بحديث رسول الله ليستدل به على أن يوم مطلق فهو يقع لليل و النهار وليس فيه دليل على أحد الوقتين يقول: و روي عن النبي صلي الله عليه وسلم إن الله خلق يوما فسماه الأحد و خلق يوما فسماه الاثنين على هذا إلى آخر الأيام كلها و لم يكن في وقت خلق هذه الأيام شمس ولا قمر وإنما خلق ذلك بعد خلق الأيام(٢).

فهو يستدل بحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم على أن كلمة يوم مطلق تدل على الليل و النهار.

ولكي يستدل بالحديث النبوي يؤكد سلسلة الإسناد فيروي عن شيخه من طريق الشافعي مما جعلنا نؤكد ما قال به القفطي بأنه من رواة الحديث. ففي قوله تعالى ﴿ ....غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (٣).

١ - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم١/٣.
٢ - الحوفي: البرهان ١٣/١.
٣ - سورة الفاتحة آية ٧ .

يقول: أخبرنا أبو بكر الإدفوي قال: حدثنا أبو جعفر النحاس قال حدثنا محمد بن جعفر الأنباري قال حدثنا محمد بن إدريس المكي قال أخبرنا محمد بن سعد قال حدثنا عمر عن سماك عن عباد عن عدي بن حاتم عن رسول الله صلى الله عليه و سلم اليهود مغضوب عليهم و أن النصارى ضالون قال قلت فإني حنيف مسلم فرأيت وجهه يبتسم فرحا(١).

و في قوله تعالى: ﴿....وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ.... ﴾(٢)،و يقول: و الصلاة في اللغة الدعاء من المخلوقين بعضهم لبعض، و من الله عز و جل الرحمة و إنما سميت الصلاة صلاة لما يدعي فيها قال الأعشى:

عليكِ مثلَ الذي صليت فأغتمضي ★★★★ نوماً فإن لجنب المرءِ مضجعا

أي عليك مثل دعائك، ومنه الحديث المروي رواه أبو هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: إذا دُعِيَ أحدكم إلى طعام فليجب فإن كان مفطراً فليأكل و أن كان صائما فليصل. قال المفسر معناه يدعوا لهم بالبركة و الخير(٣). فالحوفي بهذا يستدل بحديث رسول الله ليكشف معنى الكلمة و المقصود بها و يسند الرواية إلى أحد الصحابة برواية صحابي آخر، و أقوال الأئمة في ذلك ففي قوله تعالى ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ.... ﴾(٤).

يقول أي وضعوا مكان القول الذي قيل لهم غيره بدلا منه فكانوا بذلك ظالمين لأن قيل لهم قولا حطة فقالوا حنطة على وجه الاستهزاء ، روى أبو هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم في قوله: " و قولوا حطة فقالوا حبة في شعيرة"(٥).و يؤكد هذه الرواية برواية ابن

١ - الحوفي: البرهان ٢٥/١.
٢ - سورة البقرة آية ٣ .
٣ - الحوفي: البرهان ٣٨/١.
٤ - سورة البقرة آية ٥٩ .
٥ - الحوفي: البرهان ١٩/٢.

مسعود يقول: و روي عن ابن مسعود قال: قولوا حبة حطة حمراء منقوبة فيها شعيرة سوداء[١]. و يوضح ما قال به أبو العباس يقول: قال أبو عباس يعني أن هذا تفسير قولهم لأنهم قالوا بغير العربية[٢].

و صنيع الحوفي هذا من تأكيد الرواية برواية من طريق آخر كثير في تفسيره، من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى:﴿.... فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ.... ﴾[٣] يقول: و يقال رجز و رجز بكسر وضم و هو العذاب، روي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم: قال: إن هذا الطاعون رجز أنزل على من كان قبلكم أو على بني إسرائيل[٤].

يقول: و يروى عن الرسول صلى الله عليه و سلم أنه قد يقع الرجز بمعنى الرجس يقول و روي أسامة بن زيد عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: إن هذا الوجع و السقم رجز عُذِّب به بعض الأمم قبلكم[٥].

كما يروى عن الرسول بالمعنى الذي ذكره جماعة المفسرين، ففي قوله تعالى ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا .... ﴾[٦]، يقول: و روي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال: ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم و اختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء و إذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه ما استطعتم فلما كان من قوم موسى ما تقدم من السؤال ولم يمتثلوا ما أمروا به أولا ولا ثانيا و لا ثالثا فشددوا و اعنتوا نبيهم عليه السلام شدد الله عليهم و قيل لو لم يستثنوا في الرابعة لم يبيِّن لهم روي معنى ما ذكرناه عن جماعة المفسرين[٧].

---

١ - الحوفي: نفسه ١٩/٢.
٢ - الحوفي: البرهان ١٩/٢.
٣ - سورة البقرة آية ٥٩ .
٤ - الحوفي: البرهان ١٩/٢.
٥ - الحوفي: البرهان ١٩/٢.
٦ - سورة البقرة آية ٦٩. .
٧ - الحوفي: البرهان ٣٦/٢.

وفي قوله تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(١).

يقول: لو قيل لهم تمنوا الموت بقلوبكم دون ألسنتكم لجاز أن يقولوا قد تمنينا كذبا ثم يقولوا ما متنا فيكون في هذا رداً بقوله صلى الله عليه وسلم إنهم إن تمنوا ماتوا كما روي عنه: لا يقولها أحد منهم إلا شرق بريقه(٢).

كما نراه يستدل بقوله عزوجل وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكشف المعنى، ففي قوله تعالى:﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ .... ﴾(٣).

يقول: المعنى والله أعلم فإن طلقها التطليقة الثالثة فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره والنكاح ها هنا الجماع بدليل قول النبي صلي الله عليه وسلم حتى تذوق عسيلته، وفعل الله عزوجل ذلك لعله بصعوبة تزوج المرأة على الرجل فحرم عليهم الفروج إلا بعد الثلاث لئلا يجعلوا بالطلاق و أن يثبتوا، و دليل ذلك قوله عزوجل: " لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا و روى عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رفاعة القرظي طلق امرأته فأبت طلاقها فتزوجها بعده عبد الرحمن بن الزبير فجاءت النبي صلي الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله إنها كانت عند رفاعة فطلقها آخر ثلاث فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير و إنه والله ما معه يا رسول الله إلا مثل الهدبة فتبسم رسول الله ثم قال لها: لعلكي تريدين أن ترجعي إلى رفاعة، لا حتى تذوقي عسيلته و يذوق عسيلتك(٤).

١ - سورة البقرة آية ٩٤.
٢ - الحوفي: البرهان ٨٩/٢.
٣ - سورة البقرة آية ٢٣٠.
٤ - الحوفي: البرهان ٥٧/٤ .

والحوفي كما يستدل بالقرآن و بالحديث النبوي يستدل أيضا بأقوال الصحابة و التابعين و أئمة المسلمين ففي قوله تعالى ﴿....وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا .... ﴾(١).

يقول: و قوله متشابها يعني اشتباه ثمرة الجنة في المنظر و اللون بثمر الدنيا و قوله به عائدا على الرزق، و قال الحسن و قتادة: معنى متشابها و خيار لأرذل فيه وقال ابن مسعود وابن عباس و مجاهد متشابها في اللون و مختلفة في الطعم و قال بعضهم يشبه شيء في الجنة ما في الدنيا إلا الأسماء و هو يروي عن عبد الرحمن بن زيد و ابن عباس(٢).

وهو كثير ما يورد الأقوال دون ذكر السند أو تحقيق الرواية و لعل الذي دعاه إلى هذا الصنيع الإيجاز و الاختصار و قد نص على ذلك في مقدمة تفسيره يقول: ولقد اجتهدت في اختصار ما بلغني من علوم القرآن(٣).

و هو يبيِّن المعنى بطرق متعددة عن الصحابة و التابعين و أئمة المسلمين ففي قوله تعالى﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ .... ﴾(٤) يقول: و قوله:﴿خُذُوا مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ .... ﴾ (سورة البقرة : من الآية ٥٦) أي بجد و آتيناكم بمعنى أعطيناكم و روي عن ابن عباس بجد و عن السدي باجتهاد، و عن ابن زيد خذ الكتاب الذي جاء به موسى بصدق و حق و قوله تعالى :"... وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ " (سورة البقرة : من الآية ٦٣)عن أبي العالية ما في التوراة و أعملوا به و عن الربيع بن أنس أحفظوا ما فيه من الأمر و النهي، و قيل أمروا بالذكر الذي هو باللسان لأنه السبب المؤدي إلى العمل بطاعة الله و اتقاء محارمه(٥).

---

١ - سورة البقرة آية ٢٥.
٢ - الحوفي: البرهان ٩٧/١.
٣ - الحوفي: البرهان ١/١.
٤ - سورة البقرة آية ٦٣.
٥ - الحوفي: البرهان ٢٣/٢ – ٢٤.

أما ما جاء به عن أئمة المسلمين ففي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١).

يقول: قال أبو جعفر و هذا احتجاج على من لم يؤمن بالبعث من قريش و احتجاج على أهل الكتاب إذ خبرنا بهذا و إن المعنى لعلكم تشكرون. و ما فعل بكم من البعث بعد الموت و قال إن الله تعالى لما أحياهم و عاشوا رجلاً رجلاً جعل بعضهم ينظر إلى بعض كيف نحيا فقالوا يا موسى أنت تدعوا الله فلا تسأله شيئا إلا أعطاه فأدعه أن يجعلنا أنبياء فدعا الله فجعلهم أنبياء (٢).

٣- الوقوف على أسباب النزول:

و لقد أجمع العلماء على أن معرفة أسباب النزول طريق قوي لفهم النص القرآني يقول الواحدي عن ضرورة معرفة أسباب النزول: إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها و أولى ما تصرف العناية إليها، لإمتناع معرفة تفسير الآية و قصد سبيلها دون الوقوف على قصتها و بيان نزولها، و لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرؤية و السماع ممن شاهدوا التنزيل و وقفوا على الأسباب (٣).

فالواحدي يبيِّن أنه لا يمكن معرفة تفسير الآية و قصد سبيلها دون الوقوف على أصل قصتها و بيان نزولها، يقول الإمام القشيري: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز (٤). من هذا المنطلق جاءت عناية الحوفي لمعرفة أسباب النزول ففي قوله تعالى ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً.... ﴾ (٥) يقول رُئِيَ

١ - سورة البقرة آية ٥٦.
٢ - الحوفي: البرهان ١٣/٢ – ١٤.
٣ - الواحدي: أسباب النزول ٣.
٤ - الزركشي: البرهان ٢٢/١.
٥ - سورة البقرة آية ٨٠.

عن عكرمة قال: خاصَمت اليهودُ رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا لن ندخل النار إلا أربعين ليلةً، و يستخلف فيها قوم آخرون يعنون محمداً صلى الله عليه و سلم وأصحابه فقالوا بيده على رؤوسهم بل أنتم فيها خالدون لا يخلفكم إليها أحد فأنزل الله عزوجل ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً.... ﴾ (١) و روي عن ابن عباس أن اليهود قالوا أنما هذه الدنيا سبعة آلاف سنة و إنما يعذب الناس يوم القيامة لكل ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحداً من أيام الآخرة و إنما هي سبعة أيام فأنزل الله عزوجل ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً.... ﴾ (٢).

و الحوفي يروي السبب من طرق متعددة ففي قوله تعالى ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣).

يقول: هذه الآية جواب لما سألت اليهود من بني إسرائيل عنه وذلك ما حكي عن ابن عباس أنه قال: حضرت عصابة من اليهود رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم فَسْأَلُوا عما شئتم ولكن اجعلوا لما ذمّة الله و ما أخذ يعقوب على بَنِيه لئن أنا حدثتكم شيئا فعرفتموه لتُبَايعنَّي على الإسلام فقالوا ذلك لك، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم سلوني عما شئتم، فقالوا: أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل إن تنزل التوراة، و أخبرنا كيف ماء المرأة و ماء الرجل و كيف يكون الذكر منه و الأنثى، وأخبرنا بهذا النبي الأمي في التوراة وولية من الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم عليكم

١ - الحوفي: البرهان ٥٥/٢.
٢ - الحوفي: البرهان ٥٥/٢.
٣ - سورة البقرة آية ٩٧.

عهد الله لئن أنا أنبأتكم لتبايعوني فأعطوه ما شاء من عهد و ميثاق فقال نشدتكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا و طال سقمه فنذر لله نذراً لئن عافاه الله من سقمه ليحرِّمَنْ من أحب الطعام و الشراب إليه و كان أحب الطعام و الشراب إليه لحمان الإبل(١)،قال ابن جرير فيما أرى أن و أحب الشراب إليه ألبانها(٢) فقالوا اللهم نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم اللهم أشْهَدْ عليكم و أنشدكم لله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ و أن ماء المرأة أصفر رقيق فأيهما علا كان له الولد و الشبه بإذن الله فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكراً بإذن الله، و إذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن الله، قالوا اللهم نعم قال اللهم أشهد و أشهدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي تنام عيناه و لا ينام قلبه قالوا اللهم نعم قالوا اللهم أشهد قالوا أنت الآن فحدثتنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك أو نفارقك، قال فإن ولي جبريل و لن يبعث الله نبيا إلا و هو وليه، قالوا فعندها نفارقك لو كان وليك سواه من الملائكة تبعناك و صدقناك قال فما يمنعك أن تصدقوه، قالوا: إنه عدونا فأنزل الله عز وجل ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ .... ﴾ (٣): إلى قوله فعندها"... فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ... " (٤). (٥).

و الحوفي يروي السبب عن طريق آخر و بصيغة أخرى يقول: و روي عن الشعبي قال: نزل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الزوراء فرأى رجالا يبزرون أحجارا يصلون إليها فقال: ما هؤلاء؟ قالوا: يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ها هنا قال

١ - الحوفي: البرهان ٩٤/٢.
٢ - الحوفي: نفسه ٩٤/٢.
٣ - البقرة آية ٩٧.
٤ - سورة البقرة آية ٩٠.
٥ - الحوفي: البرهان ٩٤/٢.

فكَرِه ذلك و قال: إنما رسول الله صلى الله عليه و سلم أدركته الصلاة بوادٍ فصلى ثم أرتحل و تركه ثم أنشأ فحدثهم فقال: كنت أَشهد اليهود يوم مدارستهم فأعجب من التوراة كيف تصدق القرآن، ومن القرآن كيف يصدق التوراة ، فبيَّنا أن عندهم قالوا يا ابن الخطاب ما من أصحابك أحد أحب إلينا منك، قلت: و لِمَ ذاك، قالوا: إنك تخشانا و تأتينا قلت إني أتيكم فأعجب من الفرقان كيف يصدق التوراة، و من التوراة كيف تصدق الفرقان قال و مَرَّ رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقالوا يا ابن الخطاب ذاك صاحبكم فألحق به، قال: فقلت لهم عند ذاك ناشدتكم بالله الذي لا إله إلا هو و ما استرعاكم من حقه و استودعكم من كتابه أتعلمون أنه رسول الله قالوا: فسكتوا، فقال عالمهم و كبيرهم أنه قد عظم عليكم فأجيبوه، قالوا أنت عالمنا و سدنا فأجبه أنت، قال أما إذا نشدتنا بما نشدتنا به فإنا نعلم أنه رسول الله، قال: قلت ويحكم فأني أهلكتكم قالوا إنا لا نهلك قال: قلت كيف ذلك و أنتم تعلمون انه رسول الله ثم لا تتبعونه و لا تصدقونه، قالوا: إنا لنا عدوا من الملائكة و سلماً من الملائكة و إنه قُرِنَ بنبوته عدونا من الملائكة، قلت و من عدوكم و من سلمكم قالوا: عدونا جبريل و سلمنا ميكائيل قال: قلت و فيما عاديتم جبريل و فيما سالمتم ميكائيل، قالوا أن جبريل ملك الفظاظة و الغلظة والإعسار و الشدائد و العذاب و نحو ذلك، و أن ميكائيل ملك الرأفة و الرحمة والتخفيف ونحو هذا، قال: قلت: و ما منزلتهما من ربهما قالوا أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره قال: قلت فهو الله الذي لا إله إلا هو و الذي بينهما لعدوا لمن عاداهما و سلم لمن سالمهما ما ينبغي أن جبريل أن يسالم عدو ميكائيل و ما ينبغي لميكائيل أن يسالم عدو جبريل قال: ثم قمت فأتبعت النبي صلي الله عليه وسلم فلحقته وهو خارج من خوخة لبني فلان فقال لي يا ابن الخطاب ألا أقرئك

آيات نزلت فيك فقرأ عليّ ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ .... ﴾ (١).

حتى قرأ الآيات قال: قلت بأبي و أمي يا رسول الله و الذي بعثك بالحق لقد جئت أنا أريد أن أخبرك الخبر فاسمع اللطيف الخبير قد سبقني إليك بالخبر.

و زيادة في تأكيد السبب يرويه عن طريق آخر يقول: و يروى عن قتادة أن عمر خاطبهم بنحو من ذلك و أنهم قالوا جبريل يطلع محمداً على سرنا. و يروى أن عمراً رضي الله عنه قال أي يمين فيكم أعظم: قالوا الرحمن، أنشدكم بالرحمن الذي نزل التوراة على موسى بطور سيناء أتجدون محمداً عندكم ؟ فأسكتوا فقال: ما شانكم فوالله ما سألتكم و أنا شاك في ديني و ينهي الحوفي تلك الأخبار بقوله: فجاء ذلك من طرق تختلف الألفاظ و تقترب المعاني و قد ذكرت أشرفها و أبسطها (٢).

وقد أورد الواحدي في كتابه أسباب النزول الخبر عن طريقين اتفق فيهما مع الحوفي وإن نرى أن الحوفي أدق في رواية السبب من الواحدي الذي خرَّج الأثر على السبب و لم يلتزم ذكر الأثر بكامله مثلما فعل الحوفي في حين أن الحوفي زاد رواية قتادة (٣).

و هو و إن كان قد ذكر تعدد الأخبار حول السبب الواحد نراه في موضع آخر يعدد أسباب النزول لآية واحدة، ففي قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٤).

يقول: فولوا أيها المؤمنون وجهكم نحو وجهي فإنكم أينما تولوا وجوهكم فهناك وجهي و إنما خص الله المشرق والمغرب و إن كان مالكا لكل شيء لأن رسول الله صلى الله

١ - البقرة آية ٩٧.
٢ - الحوفي: البرهان ٩٤/٢ – ٩٧.
٣ - الواحدي: أسباب النزول ١٨-١٩.
٤ - سورة البقرة آية ١١٥

عليه و سلم لما هاجر إلى المدينة و كان أهلها اليهود أمره الله أن يستقبل بيت المقدس و فرحت اليهود و استقبلها رسول الله صلى الله عليه و سلم بضعة عشر شهراً و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يحب قبلة إبراهيم فكان يدعوا و ينظر إلى السماء فأنزل الله عزوجل :" قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ" إلى قوله تعالى: ﴿...فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ... ﴾ (١).

فأرتاب من ذلك اليهود فقالوا :"مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا " فأنزل الله عزوجل ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ... ﴾ وقال ﴿ ...فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللهِ..ۗ ﴾ (٢).

نراه يذكر أن لهذه الآية أسباباً أخرى يقول: و قال آخرون بل نزلت هذه الآية إذنا من الله لنبيه صلي الله عليه وسلم أن يصلي التطوع حيث توجه وجهه من شرق أو غرب في مسير، أو سفر، و في حال المسابقة و شدة الخوف. وقيل بل نزلت بسبب النجاشي لأنه أسلم و لم يصل القبلة و أنه كان يوجه إلى بعض المشارق و المغارب وجهه ابتغاء رضى الله في صلاته لأن أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم تنازعوا في أمره من أجل أنه مات و لم يصل القبلة و هو قول قتادة(٣)، و الواحدي يتفق مع الحوفي في تعدد أسباب نزول الآية إلا أن الواحدي لم يتفق مع الحوفي إلا في القول الأخير و هو أن الآية نزلت بسبب النجاشي (٤)، و إن كنا نميل إلى ما ذكره الحوفي لاتفاق أغلب علماء التفسير في ذلك.

و الحوفي كثيرا ما يرجع السبب إلى إجماع أهل التفسير ففي قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥) يقول و أجمع أهل التفسير على أن هذه الآية في المنافقين (٦).

١ - سورة البقرة آية ١٤٤
٢ - سورة البقرة آية ١١٥
٣ - الحوفي: البرهان ١٢٢/٢- ١٢٣.
٤ - الواحدي: أسباب النزول ٢٥.
٥ - سورة البقرة آية ٨.
٦ - الحوفي: البرهان ٥٠/١.

والحوفي على مدى تفسيره للقرآن لم يترك آية نزلت لسبب من سؤال أو حادثة أو خبر إلا و بيَّنه برواية أو أكثر و إن كنا نأخذ عليه عدم ذكر السند بل يستند مباشرة إلى الراوي الأول كابن عباس أو ابن مسعود أو غيرهما.

٤- الناسخ و المنسوخ:

أجمع أئمة السلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين أن كل من تكلم في شيء من علم هذا الكتاب العزيز ولم يعلم الناسخ والمنسوخ كان ناقصا [١]. وعلي هذا نري الحوفي قد تكلم في هذا الجانب فهو يبين المقصود بالنسخ وفائدته والأقوال التي جاءت في ذلك ففي قوله تعالى﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٢]

يبين معني النسخ وأوجهه : يقال نسخ نسخاً واتسخ اتساخاُ واستنسخ استنساخاً وتناسخوا تناسخا وناسخ مناسخة واصل الباب الإبدال من قرأ ننسأها كان مصدره نساءاً ممدودة ونسيئة ونسأ مثل تسعاً ، و من قرأ ننسأها كان مصدره نساءاً والنسيء التأخر ويقال للمرأة نسئت نسأً إذا حملت نسئت اللبن إذا صببت عليه الماء وهو حليب واسمه النسيء مصدره نسأ ونسأت الناقة زجرتها وخبرتها بالمناسأة وهر العصا .والنسخ هو تبديل الشيء بغير مأخوذ من نسخت الشمس الظل إذا أزلته وحلت محله ، ومن نسخت الكتاب إذا نسخت ما فيه إلى غيره ، وهو على أربع أوجه :

أحدهما : رفع الرسم والحكم

والثاني : رفع الرسم وبقاء الحكم.

والثالث: رفع الحكم وبقاء الرسم.

---

١ - هبه الله بن سلامة: الناسخ والمنسوخ ٥.
٢ - سورة البقرة آية ١٠٦.

والرابع: رفع بعض الحكم وبقاء الرسم والنسخ لا يكون في الأمر والنهي وروي عن مجاهد وابن مسعود وغيرهما من أصحاب رسول الله صلي الله علية وسلم أنهم قالوا: ما ننسخ من آية نزيل حكمها ونثبت خطها (١).

الزركشي يوجه معاني النسخ إلى معاني أربع : قال الأئمة ولا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف الناسخ والمنسوخ ،ولقد قال علي ابن طالب لقاص : أتعرف الناسخ والمنسوخ قال : الله اعلم قال:هلكت وأهلكت (٢).

من هذا المنطلق تتبع الحوفي الآيات القرآنية علي مدي النص القرآني وبين ما وقع فيه من أقوال حول الناسخ والمنسوخ مما يدل علي سعة اطلاع الحوفي وشموليته للمباحث التي دارت حول النص القرآني ففي قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣) قالوا ثم نسخ ذلك بالفرض الذي فرض عليهم في التوجه شطر المسجد الحرام " (٤). بقوله تعالي :" قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ..." إلى قوله تعالي ﴿...فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ... ﴾ (٥)

وفي قوله تعالي ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٦).

١ - الحوفي : البرهان ١٠٦/٢-١٠٧.
٢ - الزركشي: البرهان ٢٩/٢.
٣ - سورة البقرة آية ١١٥.
٤ - الحوفي : البرهان ١٢٢/٢.
٥ - سورة البقرة آية ١٤٤.
٦ - سورة البقرة آية ١٧٨.

يقول: روي عن ابن عباس أن هذا الآية نسختها التي في المائدة ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ (١) وقال أبو عبيدة إن ابن عباس فيما يرى إلى أن الآية التي في المائدة ﴿ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ليست بناسخ التي في البقرة﴿ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ ﴾ ولا هي خلافها ولكنهما محكمتان إلا أنه يرى أن التي في البقرة فتأوله قوله ﴿ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾إنما هو على أن النفس متساوية دون العبد ذكوراً كانوا أو إناثا أنفس المماليك متساوية فيما بينهم وانه لا قصاص للمماليك على الأحرار (٢) والحوفي بعد بيَّن رأي ابن عباس الذي قال بالناسخ، ذكر رأي أبو عبيد القائل بعدم النسخ، و هو ينتصر لرأي ابن عباس الذي أجمع عليه العلماء يقول: أجمع الفقهاء في قتل العبد بالحر والذكر بالأنثى واستدلوا بقوله ﴿... وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ (٣) وبقوله ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾و هو لكي ينتصر لرأي ابن عباس و هو أن آية المائدة نسخت آية البقرة يأتي بالحكم الفقهي الذي سوف نبينه في الجانب الفقهي (٤)، و كثير ما نرى العلماء يتكلمون في النسخ في آيات الأحكام و كذلك أثبته الحوفي فنراه في قوله عز وجل ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (٥)، إلى قوله تعالى

٥- المكي و المدني:

يقول قيل هذه الآية منسوخة بالزكاة المفروضة قيل منسوخة بالغلظة على الكفار ومنهم من قال هو حق في المال سوى الزكاة، ومنهم من قال هو أمر بالإجمال و ترك

١ - سورة المائدة آية ٤٥.
٢ - الحوفي: البرهان ٣/٥١-٥٢.
٣ - سورة الإسراء آية ٣٣.
٤ - الحوفي: البرهان ٢/٥٢.
٥- سورة الأعراف آية ١٩٩-٢٠٦.

الغلظة و الفظاظة غير منسوخ، و من قال هي منسوخة بالزكاة ابن عباس و السدي و الضحاك، ومن قال هي أمر من الله لنبيه صلي الله عليه وسلم بالعفو عن المشركين و ترك الغلظة قبل أن يُفرَض قتالهم عليه ابن زيد(١).

و قد عدها هبة الله بن سلامة من أعجب المنسوخ يقول: قوله تعالى: "خذ العفو" هذا منسوخ، يعنى الفضل من أموالهم نسخ بآية الزكاة، وهذه الآية أعجب المنسوخ لأن أولها منسوخ و أوسطها محكم و آخرها منسوخ بقوله: " و أعرض عن الجاهلين " نسخ بآية السيف، وأوسطتها " و أمر بمعروف " العرف المعروف فهذا محكم(٢) و بهذه المعاني قال الحوفي و إنَّ لم ينص صراحة بما قال به هبة الله بن سلامة يقول: و قد تضمنت الآيات البيان عن تعاليم مكارم الأخلاق في أخذ العفو الذي لا يجحف و الأمر بالمعروف الذي لا ينكر و الإعراض عن الجاهل الذي لا يفلح(٣).

و الحوفي إذ ارتضى رأياً جاء بالأدلة و الأقوال لينتصر لهذا الرأي، ففي قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ ﴾(٤).

يقول: و اختلف في قوله عزوجل ﴿...وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥ...ۚ ﴾

هل هو خاص في أهل بدر أم هو عام في المؤمنين جميعا فقال قوم هو لأهل بدر خاصة لأنه لم يكن لهم أن يتركوا رسول الله صلى الله عليه و سلم مع عدوه و ينهزموا عنه فأما اليوم فلهم الانهزام منهم قال ذلك أبو سعيد الخدري و الضحاك و الحسن و قتادة و يزيد بن أبي حبيب، و قال عطاء ابن أبي رباح منسوخة بالآية التي في الأنفال ﴿ٱلۡـَٰٔنَ

١- الحوفي: البرهان ٤٧/١٢- ٤٨.
٢- هبة الله بن سلامة: الناسخ و المنسوخ ١٧- ١٧١.
٣- الحوفي: البرهان ٥٠/١٢.
٤- سورة الأنفال آية ١٥- ١٦.

خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ .... ﴾ [1]. إلى قوله" يَغۡلِبُواْ مِئَتَيۡنِ " قال فليس لقوم أن يفروا من مثليهم قال: و نسخت تلك إلى هذه العدة، وقال مجاهد قال عمر أن فئة كل مسلم و قال آخرون بل حكمها عام في كل من وُلِّى الدبر عن العدو منهزما و هو قول ابن عباس [2].

نراه بعد ذكر تلك الأقوال يرتضي قول ابن عباس و يأتي بقول ابن جرير الطبري ليدعم به رأيه يقول: و قال ابن جرير الطبري و قول من قال حكمها محكم أولى بالصواب لأنها نزلت في أهل بدر و لا يجوز أن نحكم في آية بنسخ ولها غير النسخ وجه إلا حجة يجب التسليم لها من خبر يقطع العذر أو حجة عقل [3].

و على هذا المنوال تناول الحوفي الآيات التي نص العلماء على أنها ناسخة أو منسوخة و منهجه فيها أن يذكر الآراء و ينتصر لرأي من تلك الآراء مع التدليل لهذا الرأي بالأدلة و البراهين.

٦- المكي و المدني:

اتفق العلماء على أن من فوائد معرفة المكي و المدني معرفة الناسخ و المنسوخ لأن المكي سابق على المدني [4]. لهذا جاءت عناية الحوفي ببيان المكي و المدني و ما نزل بمكة و ما نزل بالمدينة، فنراه في أول كل سورة ينص على ذلك فيقول في أول سورة الفاتحة: قال مجاهد هي مدنية و هي فاتحة الكتاب، يحدد الحوفي أن سورة الحمد مكية [5].

و ما ذكره الحوفي بأن سورة الحمد مكية و نصه على قول مجاهد بأنها مدنية صحيح، فقد أجمع العلماء على أن سورة الفاتحة قد نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة

١- سورة الأنفال آية ٦٦.
٢- الحوفي: البرهان ٦٤/١٢.
٣- الحوفي: نفسه ٦٤/١٢.
٤- الزركشي: البرهان ١٨٧/١.
٥- الحوفي: البرهان ٨/١.

يقول الإمام الزركشي: و قد ينزل الشيء مرتين تعظيماً لشأنه و تذكيراً به عند حدوث سببه خوف نسيانه و هذا كما قيل بالفاتحة نزلت مرتين: مرة بمكة و مرة بالمدينة(١).

و كما قلنا فالحوفي ينص في أول كل سورة على ذلك ففي أول سورة البقرة يقول: و هي مدنية(٢)، كما ينص على ذلك في أول سورة الأنعام يقول: روي عن ابن عباس أنه سُئِل عن آي القرآن المدني من المكي فقال سورة الأنعام نزلت بمكة جملة واحدة فهي مكية إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة فهي مدنية(قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ...) (سورة الأنعام: الآية ١٥١) إلى تمام الآيات الثلاث فعلى هذا لا يصح قول من قال و آتوا حقه يوم حصاده هو الزكاة المفروضة لأن الزكاة المفروضة فرضت بالمدينة، و هو يذكر في موضعه إنْ شاء الله ، روى أنس ابن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم نزلت سورة الأنعام معها موكب من الملائكة سدَّ ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح و الأرض لم ترتج و رسول الله يقول : سبحان الله ربي العظيم" ثلاث مرات، و روي ابن عباس قال نزلت ليلا و نزل معها سبعون ألف ملك يجأرون من حولها بالتسبيح(٣).

ثانيا: الإسرائيليات و موقف الحوفي منها:

إن انتشار الإسرائيليات في كتب التفسير بمختلف مناهجها ليعد ظاهرة عامة في أغلبها، و إنما ذلك جاء نتيجة لأمور عدة :

الأول: فهم بعض من تصدى لتفسير القرآن لحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم:

" بلغوا عني و لو آية، و حدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، و من كذب عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"(٤) فهماً غير مشروط فأطلقوا العنان لذلك و قبلوا من أهل الكتاب الغث و السمين، يقول ابن تيمية : ولهذا كان عبد الله بن عمرو قد أصاب يوم

١- الزركشي: البرهان ٢٩/١.
٢- الحوفي: البرهان ٢٧/١.
٣- الحوفي: البرهان ٨/١٠.
٤- البخاري: صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق ٢٠٧/٤.

اليرموك زُملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك(١).

الثاني : ما عمَّ العالم الإسلامي من الفتن والخلافات المذهبية والرق مما أتاح لأعداء الإسلام من بث سمومهم ودس الإسرائيليات ووضع الأحاديث المكذوبة حقداً وحسداً على الإسلام.

الثالث: عدم تحري الدقة في رواية الحديث مثل العناية بالسند والمتن وبذلك لم يلتزم أكثر المفسرين التحفظ في رواية الإسرائيليات.

غير أن ما جاء في تلك الأقوال التي أطلق عليها العلماء إسرائيليات مرفوض برمته، بل منه مقبول، ومنه مسكوت عنه يقول ابن تيمية: ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا على صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني(٢).

من هذا المنطلق جاءت عناية الحوفي بهذا الجانب، فنراه قد التزم بنص الآية القرآنية في روايته لأية قصة غير أنه يبين ما جاء من الأقوال حول تلك القصة وينص على أنه ذكر الأوعب ثم يبيِّن رأيه وهذا الصنيع قد جوز ابن تيمية يقول ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز وحكاية الخلاف أن تستوعب الخلاف أن تستوعب الأقوال في هذا

١- ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير ٤٤.
٢- ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير ٤٤- ٥٥.

المقام، و أن ينبه على الصحيح منها و يبطل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف و ثمرته لئلا يطول النزاع و الخلاف فيما لا فائدة تحته فيشغل به عن الأهم(١).

ففي قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾(٢)، فهو بعد ابن بيَّن معنى الآية يقول: و يقال كان رجل من بني إسرائيل مكثراً من المال و كانت له ابنه و كان له ابن أخ محتاج فخطب إليه ابن أخيه ابنته فأبى أن يزوجه فغضب الفتى و قال و الله لأقتلن عمي و لأخذن ماله و أنكحن ابنته و لأكلن ديته. فأتاه الفتى و قدم تاجر في بعض أسباط بني إسرائيل فقال يا عم انطلق معي فخذ لي من تجارة هؤلاء القوم لعلي إن أصبت فيها فإنهم إذ رأوك معي أعطوني فخرج العم مع الفتى ليلا فلما بلغ الشيخ ذلك السبط قتله الفتى ثم رجع إلى أهله، فلما أصبح جاء كأنه يطلب عمه كأنه لا يدري أين هو فلم يجده فانطلق نحوه، فإذا هو بذلك السبط مجتمعين عليه فأخذهم وقال قتلتم عمي فأدوا إليَّ ديته و جعل يبكي و يحثوا التراب على رأسه و ينادي واعماه فرفعهم إلى موسى عليه السلام فقضى عليهم بالدية، فقالوا له يا رسول الله ادع الله لنا حتى يبين لنا من صاحبه فوالله إن الدية علينا لهينة و لكنا نستحي أن نعيّر به فذلك قول الله عزوجل حين يقول: (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) (سورة البقرة : الآية ٧٢) فقال لهم موسى إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، قالوا نسألكم عن القتيل و عمن قتله و تقول اذبحوا بقرة أتهزأ بنا، قال موسى "أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ "، قال ابن عباس فلو ارتضوا بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم و لكنهم شدّوا وتعنتوا موسى فشدّد الله عليهم،

١- ابن تيمية: نفسه ٤٦.
٢- سورة البقرة آية ٦٧.

فقالوا ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِى ... ﴾ (سورة البقرة: الآية ٦٨). قال ﴿ .... إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ... ﴾.(سورة البقرة: الآية ٦٨)

و الفارض الهرمة التي لا تلد والبكر التي لم تلد إلا ولداً واحداً، و العوان: النصف الذي بين ذلك، التي قد ولدت و ولد ولدها ﴿فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ... ﴾ (سورة البقرة: الآية ٦٨) قالوا ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾ (سورة البقرة: الآية ٦٨) قال نقي لونها تسر الناظرين قال تعجب الناظرين ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ﴾. (سورة البقرة : الآية ٦٨)

من بياض و لا سواد و لا حمرة﴿ ...قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ.. ﴾(سورة البقرة: الآية ٧١) فطلبوها فلم يقدروا عليها، و كان رجل من بني إسرائيل من أبر الناس بأبيه و إن رجلا مر به ومعه لؤلؤ بسبعين ألفا، فقال الفتى كما أنت حتى يستيقظ أبي و أخذه منك بثمانين ألفا قال الآخر لا تنتظر أباك و هو لك بستين ألفا، فجعل التاجر يحطه حتى بلغ ثلاثين ألفا و زاد الآخر على أن ينتظر أباه حتى يستيقظ حتى بلغ مائة ألف، فلما أكثر عليه قال و الله لا أشتريها منك بشيء أبدا، و أبى أن يوقظ أباه فعوضه الله من ذلك اللؤلؤ أن جعل له تلك البقرة فمرت به بنو إسرائيل يطلبون البقرة فأبصروا البقرة عنده فسألوه أن يبيعهم إياها بقرة ببقرة فأبى فأعطوه ثنتين فأبى فزادوه حتى بلغوا عشرا فأبى فقالوا و الله لا نتركك حتى نأخذها منك فإن لقوا به إلى موسى فقالوا يا نبي الله إنا وجدنا عند هذا فأبى أن يعطينا ها و قد أعطيناه ثمناً لها فقال له موسى أعطهم بقرتك، قال يا رسول الله أنا أحق بمالي، فقال صدقت و قال للقوم ارضوا صاحبكم فأعطوه وزنها ذهبا فأبى،

فأضعفوا له مثل ما أعطوه وزنها عشر مرات ذهبا فباعهم إياها و أخذ ثمنها، فذبحوها فقال اضربوه ببعضها فضربوه بالبضعة التي بين الكتفين فعاش فسألوه من قتلك فقال لهم ابن أخي قال أقتلته و أخذ ماله وأنكح ابنته فأخذوه فقتلوه فهذا ما ذكره المفسرون و بعضهم يزيد على بعض وينقص فذكرت الأوعب و معانيهم متقاربة. فهو يربط القصة القرآنية بعد استيعاب أقوال المفسرين كما ينص على أن ما ذكره هو من أوعب كلام المفسرين في ذلك ومعنى هذا أن الحوفي ارتضى هذا القول بدليل إيراده ولو لم يرتضه لما بيَّنه وزاد عليه يقول: وقيل دفع في ثمنها ملء جلدها ذهبا وقيل بوزنها ذهبا، وقيل ضرب بفخذها وقيل بذنبها، واختلف في القاتل فقيل ابن أخيه وقيل أخوه، وقيل وارث[1].

فهذا دليل على ارتضائه بالقول الأول حيث بيَّن في اختلاف العلماء فيما جاء من تلك القصص، وهو ينهي تفسيره للآية بقوله: ويقال ما المعنى يذبح بقرة والله عزوجل قادر على إحياء القتيل و إنطاقه بذكر قاتله من غير ذبح بقرة، قيل المعنى إنها قُرْبَةٌ قدموها و عبادة تعبَّدوا بها، فإن قيل لما خصت البقر دون غيرها، قيل: إن البقر أنفس ما كانوا يتقربون به من الذبائح، وقد تضمنت البيان عن العبرة بما كان من حال البقرة و ما جعل فيه من سبب الحياة و ما في إتباع أمر الله عزوجل من لطيف الحكمة و عظم المنفعة والتقبيح لحالهم بما خاطبوا به نبيهم من نسبة إلى أنه يهزأ بهم و أن الهازئ بالدين من الجاهلين المستحقين للوم والتأنيب[2].

فالحوفي يستوعب أقوال المفسرين و ينص عليها طلباً للعبرة، ثم ينهي هذه المسألة بأن ذبح البقرة إنما كانت قربة قدموها و عبادة تعبدوا بها.

١- الحوفي: البرهان ٢١٥/١.
٢- الحوفي: نفسه ٢١٥/١.

و هو في كل قصة يذكرها يعتمد فيها على ما قال به الصحابة و التابعين، ففي قوله تعالى: ﴿ ...قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ... ﴾ (١).

يبين ما جاء في معنى هذه الآية من أقوال الصحابة و التابعين ثم يعقب على ذلك بقوله: روي ذلك عن ابن عباس و هو قول قتادة و أبي العالية و السُّدي و ابن زيد و قال مجاهد ولو أخذوا بقرة صفراء لأجزأتهم و يحتج لمن قال هي صفراء بالنعت بفاقع لأنه يقال أصفر فاقع، و أسود حانك و حالك و حلوك و حُلبوت و غربيب ودجوجي و أحمر قانٍ و أبيض يقق و لهق و لهاق و لباح و ناصع، و أخضر ناضر (٢).

و الحوفي في هذا الجانب ملتزم بما تضمنه النص القرآني و ما زُد فيه من روايات المفسرين إنما كان للعبرة و هو من قبيل الاستشهاد لا للاعتقاد. فإذا تعرض بقصة ذكرها المفسرون نبه عليها و بيَّن رأيه فيها، و إن كنا نأخذ عليه انسياقه وراء رواية الإسرائيليات التي لم يسلم منها كتاب من كتب التفسير و على رأسها تفسير الطبري و الثعلبي و القرطبي و غير ذلك، ففي قوله تعالى ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ... ﴾ (٣).

يقول هل يستطيع استسحار شيء من خلق الله إلا نظير الذي يقدر عليه من ذلك سائر بني آدم أو إنشاء شيء من الأجسام و قالوا لو كان في وسع السحرة ذلك لم يكن بين الحق والباطل فرق و احتجوا بقول الله عز وجل: "يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ" (سورة طه: الآية ٦٦) وقالوا ليس غير ما ذكر الله من التخيل و التفرقة بين المرء و زوجه، و قال آخرون يقدر الساحر بسحره أن يحول الإنسان حماراً، و أن يسحر الحيوان و الحمار و ينشئ أعيانا و أجساماً، و اعتَّدُوا في ذلك بحديث رواه هشام بن عروة عن أبيه

١- سورة البقرة آية ٦٩.
٢- الحوفي: البرهان ٣٥/٢.
٣- سورة البقرة آية ١٠٢.

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلي الله عليه وسلم أنها قالت : قدمت على امرأة من أهل دومة الجندل جاءت تبغي رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد موته حداثة ذلك تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر و لم تعمل به، قالت عائشة لعروة يا ابن أخي فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه و سلم فتشيفتها كانت تبكي حتى أني لأرحمها و تقول: إني أخاف أن أكون قد أهلكت، كان لي زوج فغاب عني فدخلت على عجوز فشكوت ذلك إليها فقالت إن فعلت ما أمرك به فأجعله يأتيك فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين فركِبَتْ أحدهما و ركِبْتُ الآخر فلم يكن كشيء حتى وقفنا ببابل فإذا برجلين معلقين بأرجلهما فقالا ما جاء بك فقلت أتعلم السحر فقالا إنما نحن فتنة فلا تكفري و أرجعي، فأبيت وقلت لا، قالا، فاذهبي إلى ذلك التنور فبُولي فيه، فذهبت ففزعت فلم أفعل(١).

إلى آخر ما ذكره الحوفي من هذا، إلى أن قالت المرأة، فلما رأيت أني لا أريد شيئا كان سقط في يدي و ندمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيئا و لا أفعله أبداً و روى أسباط عن السُّدي قال إذا أتاهما يعني هاروت و ماروت إنسان يريد السحر و عظاه و قالا له لا تكفر إنما نحن فتنة فإذا أبى قالا له إئت هذا الرماد فبل عليه، فإذا بال عليه خرج منه نور فسطع حتى يدخل السماء و ذلك الإيمان و اقبل شيء أسود كهيئة الدخان حتى يدخل في مسامعه و كل شيء منه فذلك غضب الله عزوجل فإذا أخبرهما بذلك علماه السحر فذلك قول الله عزوجل ﴿... وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ... ﴾(٢).

و الحوفي بعد هذا يبيِّن فهمه للآية فيقول: الفتنة الاختبار و منه فتنت الذهب إذا أدخلته النار لتختبره و منه قوله :

و قد فتن الناس في دينهم ... و خلى ابن عفان شراً طويلا

١- الحوفي: البرهان٢/١٠٠ - ١٠١.
٢- سورة البقرة آية ١٠٢.

و معنى يعلمان الناس السحر تعليم إنذار، روي عن علي رضوان الله عليه يعلمان الناس السحر تعليم إنذار من السحر لا تعليم وعاء له، و قيل يعلمان الناس السحر و يأمران باجتنابه، وقال الربيع بن أنس ما يعلمان من أحد حتى يقولا: لا تتعلم السحر فتكفر، و يقال كيف يفرق الساحر بين المرء و زوجه، قال تخيل الشيء إلى المرأة التي ترى زوجها على خلاف ما هو به، و تخيل الشيء إلى الزوج حتى يرى زوجه أيضا على خلاف ما هي عليه " الفرقة "، و قيل يؤخذ كل واحد منهما عن صاحبه ببغض كل واحد منهما إلى صاحبه، و قوله وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله أي و ما هم يعني السحرة بضارين بالذي تعلموه من الملكين من أحد إلا بعلم الله، يعني الذي سبق في علمه أنه يضره، فأما من دفع الله عنه شره و حفظه فإن ذلك غير ضاره و الإذن في هذا الموضع العلم(١).

إلى غير ذلك مما جاء في تفسير الحوفي من المواضع(٢) التي يمكن أن يستوعبها بحث مستقل و التي نبه عليها الحوفي و بيَّنها على مدى تفسيره للنص القرآني.

١- الحوفي: البرهان ١٠٢/٢.
٢- الحوفي: البرهان ١١١/١، ١١٦، ١٢٧، ١٦٣، ١٧٨، ١٨٣، ١٨٥، ٢٠٨، ٢١٣، ٢١٧ . ١٠٠/٢، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤ . ١٠/٣، ٩٣، ١٠٥، ١١٧، ١٣٦ إلى آخر أجزاء المخطوط.